

في الأخير نقول: إنّ أهمّ نتيجة خلصنا إليها من دراستنا هي أنّ التجربة الشعرية في أساسها وحقيقة أمرها تجربة لغة قبل كل شيء وبعده ، لذا فإنّ الدراسة اللغوية الجادة لأيّ عمل أدبي تُسهم - بشكل فعّال - في إضاءة جوانبه المختلفة ، هذا إن لم نقل أهمّ جوانبه . وسنحاول فيما سيأتي أن نجمع أهمّ النتائج التي وصلنا إليها:

(1) اختيار إيقاع الطويل وزناً عروضياً للقصيدة جاء ليُناسب طولها النسبي ، وطابعها الجدّي ، والحماسة والفخامة والرصانة الماثثة فيها ، وليوافق ضروب القصص المختلفة التي تعجّ بها.

(2) سيطرة التفعيلات المقبوضة على التفعيلات المزاحفة بنسبة 98 % نبعت من الدلالة العميقة للنص ؛ حيث أنّ القبض في هذا السياق يعكس حالة الانقباض النفسي ، والقلق ، والاضطراب الذي يُعانيه الشاعر .

(3) القافية يمكن أن تُفيد بشكل فعّال في البناء الموسيقي للقصيدة ، إذا حظيت بقدر كبير من التركيز الصوتي ، واختير لها حرف رويّ سهل في النطق ، ويتميّز بوضوح إسماعي .

(4) ساهم النظام النحوي في تقديم كلمات مرفوعة بالضمّة لمجرى القافية كان أغلبها جزءاً من جملة فعلية ، هذه الأخيرة التي تغلب عليها الحركة التي تكون مُتضمّنة في الفعل ، وهذا ما أكّد نزوع القصيدة الكبير إلى التصوير .

(5) تعدّ موسيقى الصوت المعزول في لامية العرب ذات خصائص تسمح لنا بأن نقول: إنّ الصوت المعزول ، وإن انقطعت صلته بالدلالة بمقتضى عزله عن الإطار الدلالي الأدنى ( اللفظ ) ، فإنّه بحكم انعقاد صلة جديدة له بأصوات معزولة مثله ، يكتسب صلة بالمدلول إثر ربط هذه الأصوات ببعضها البعض ، وبالتالي الربط بين المعاني ، فيصبح ذا طاقة دلالية خلاقة في البيت الشعري تسهم في سبر أغوار النص .

(6) إنّ موسيقى الأصوات المحصورة في الإطار الدلالي الأدنى ( اللفظ ) أوضح مظهرًا وأبلغ أهمية ؛ ذلك أنّه في اللفظ تبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والدلالة السياقية ، سواء استصحبنا الدال والمدلول كما في التكرار ، أو استصحبنا الدال دون المدلول كما في

الجناس ، فإننا نلاحظ بأنّ الموسيقى الصوتية المُتجسّمة في تكرار الألفاظ أو تجانسها كانت من لبنات موسيقى الشعر الأساسية ، وعليه فهي مَدِينة لَهُ بقسط وافر ؛ فالكلام - في الحقيقة - يكتسب دلالات خلاقّة في نطاق نظام الأصوات المُكتسبة معانيًا جديدة طارئة بمقتضى تفاعلها، فالمعاني ليست معاني لغة الكلام في مستواها المعجمي/الإخباري ، وإنما هي اللغة الجديدة التي زُرعت في لغة النَّص بمفعول تلك الموسيقى بالدرجة الأولى .

(7) ساهمت موسيقى الإطار الدلالي الموسّع في الإطار الموسيقي العام ، فزادت أصواته انسجاما ، ومضمونه وضوحا . أمّا أثرها في الدلالة فقد اتّضح من خلال تناسب الأصوات في التقطيع العمودي مع وقفات التأمّل ، وعليه فهناك تعويل على هذا التقطيع المخصوص الذي يختلف - بكل تأكيد - عن الترتيب المرسل .

(8) أُكسبت القافية الداخلية وظيفة مخصوصة في القصيدة من خلال توسيع استعمالها إلى أكثر من بيت ( الترصيع ) ، لتُساهم بذلك في الربط بين القضايا المختلفة بأشكال مخصوصة .

(9) للحذف سلطة وقوة دافعة ؛ فطرف الإسناد المحذوف - مثلا - يكون أظهر بحذفه ، والشاعر يكون أنطق إذا لم ينطق به ، والطرف المذكور يكون بارزًا تمام البروز لانهيار الضوء فيه ، وبالتالي يصبح حاصل هذا الأسلوب إبرازًا للعنصرين في التركيب بنفس المستوى . أمّا مقاصده العامة فيمكن إجمالها في الإيجاز ، وسلطة الوزن الشعري ، ومواءمة المواقف المختلفة .

(10) ترجع خصائص التغيير في ترتيب الوحدات اللغوية إلى عاملين أساسيين ، مقتضيات صوتية تتّصل بالواقع الحسيّ للكلام ، وأخرى معنوية تمثّلت في لطائف دلالية كان للتقديم والتأخير فضل في تأديتها ، ولم يستدعها عامل صوتي ظاهر ، لتُساهم بذلك في خلق طاقات تعبيرية جديدة لحقت المعاني الظاهرة فزادتها تدقيقًا وتأكيدًا .

(11) الاعتراض بين عناصر الجملة في القصيدة ، سواء أكانت اسمية أو فعلية جاء ليخلق نوعا من التوازن في الجمل لتعزيز موسيقى الأبيات ، أو للتنبية على المُعترض به ، والتعجيل بذكره كي لا يسبق إلى الأذهان خلافه .

12) التناوب مظهر آخر من مظاهر التركيب أضفى آفاقاً دلالية جديدة على النص من خلال الجمع بين معاني الحروف ، فحلّ بعضها محلّ بعض مما سمح للكلام بالانتساع ، والانفتاح على أكثر من معنى .

13- تُعتبر الجملة الطويلة في القصيدة بناءً يوازي به الشاعر غرضه ؛ فالشاعر عندما لجأ إلى الإيغال في التصوير فإنّ بناء الجملة - في الوقت نفسه - أخذ في التداخل ، فكان أن بدأت الجملة في الطول إلى أن استغرقت أبياتاً عديدة .

14) أغلب مظاهر التركيب الخاصة في القصيدة عكست وجسّدت أبعاد النص المختلفة ، وذلك يتضح - كما رأينا- في شيوع البدل واسم التفضيل ، وكثرة النفي والجمل المترادفة ووفرة حروف العطف وغيرها .

15) القصيدة رائدة - من حيث الجملة - في التّعرف على الخلق العربي ؛ فهي تحمل في بطنها أجنّة لكثير من القيم العربية كالشجاعة ، والوفاء ، والإباء ، والحرية ، والمروءة ، وغيرها . وفي هذا تميّزت القصيدة - أيضاً - بقوة الطّرح ، وجودة الشاعريّة ، وطرافة المشاهد المصورة .

16) بعض العبارات في القصيدة مُفعمة بطاقات رمزية خصبة تُحيل على جوانب مهمّة في هذا النص ، وتكاد تبوح وتكشف ما حاول الشاعر كنايةته ، كما بإمكانها أن تفتح لنا عوالم نقدية جديدة في فضاء هذا النص.